ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index
مجلة الأصالة

الإمام النيســـــــابوري وعنايته بالقراءات في تفسيره

د. نجمه السنوسي اللافــي*
كلية الآداب ، قسم الدراسات الإسلامية / جامعة سبها ، ليبيا
naj.abuiknayshah@sebhau.edu.ly
تاريخ الارسال 2026/2/2م تاريخ القبول 2026/2/25م

AL imam al Nisaburi and his attention to variant readings in his exegesis

Najmah Alsanousi Allafi
naj.abuiknayshah@sebhau.edu.ly
University of Sebha.
Faculty of Arts – Department of Islamic Studies

Research Summary
This study focuses on Imam al-Nisaburi and his attention to variant readings in his commentary entitled "Ghara'ib al-Qur'an wa Ragha'ib al-Furqan" (The Wonders of the Qur'an and the Desires of the Criterion). We will demonstrate that Imam al-Nisaburi is a prominent figure in the fields of Qur'anic exegesis and variant readings. He possessed a comprehensive scholarly personality, encompassing various disciplines that serve the Holy Qur'an. This is clearly evident in his book on Qur'anic exegesis, whose title reflects its significance. He explained the rare and unusual aspects of the Qur'an and sought to clarify the Criterion, employing a style that combined the scholarship of al-Zamakhshari and al-Razi in their respective works, "al-Kashshaf" and "Mafatih al-Ghayb." The book incorporates the most valuable insights from these two works and adds to them. Furthermore, al-Nisaburi's approach was free from bias towards any particular school of thought or sect, unlike al-Zamakhshari's adherence to the Mu'tazilite school
The book also highlighted another crucial aspect: the science of Quranic readings. In this area, al-Nisaburi's scholarly and intellectual acumen shone through, demonstrating his profound understanding and mastery of this field. This understanding is evident in his presentation of the readings, particularly in his insightful introductions where he discusses the science of

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

Quranic readings, its principles, its purpose, the seven canonical reciters and their chains of transmission, and related topics.
Furthermore, he did not neglect the grammatical and rhetorical significance in interpreting the readings, nor did he show bias towards any particular reading.
He also addressed the anomalous readings, mentioning and explaining them. He attributed each reading to its transmitter, listing the reading and the names of its transmitters, before proceeding to interpret each reading according to the principles of language, rhetoric, and meaning, as previously mentioned.
Keywords: al-Nisaburi's commentary, the science of Quranic readings, the seven canonical reciters, the rhetorical significance of the reading, al-Zamakhshari, al-Razi

الملخص :

تركز هذه الدراسة على الإمام النيسابوري وعنايته بالقراءات في تفسيره المسمى بـ "غرائب القرآن ورغائب الفرقان "

وسنبين في هذا البحث أن الإمام النيسابوري يعد واجهة تفسيرية عظيمة في علم التفسير والقراءات؛ حيث إنَّه كان يتمتع بشخصية علمية جامعة لمختلف العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وقد تبين ذلك بوضوح من خلال كتابه في تفسير القرآن الكريم، والذي حمل عنوانا يدل على نفاسة الكتاب، فقد فسر الغريب من القرآن ورغب في الفرقان، بأسلوبه الذي جمع بين علمي الزمخشري والرازي في كتابيهما الكشاف ومفاتيح الغيب، فالكتاب حمل نفائس ما في الكتابين، وزاد عليهم، وقد خلت شخصية النيسابوري من التعصب لمذهب بعينه، أو طائفة بعينها فهو يختلف عن الزمخشري في تعصبه للمذهب الاعتزالي.

وقد أبرز الكتاب جانبا آخر غاية في الأهمية ألا وهو جانب القراءات، وفي هذا الجانب ظهرت عقلية النيسابوري العلمية والفكرية من حيث فهمه الواسع لعلم القراءات وإلمامه بها، وتتجلى مظاهر هذا الفهم في طريقة عرضه للقراءات، وفي مقدماته البديعة التي تحدث فيها عن علم القراءات، وأصولها، والمقصود بها، وعن القراء السبع وأسانيدهم، وما إلى ذلك.

وفي عدم إغفاله للدلالة النحوية والبلاغية في توجيه القراءة، وفي عدم تعصبه لقراءة بعينها. كما أنَّه لم يغفل القراءات الشاذة بل ذكرها وبينها، كما أنه كان يعزي القراءة لناقلها، فيذكرها ثم يذكر أسماء ناقليها، ثم يتوجه إلى توجيه كل قراءة، وفق مقايس اللغة والبلاغة، والمعنى كما ذكرنا.

الكلمات المفتاحية: تفسير النيسابوري ، علم القراءات ، القراء السبع ، الدلالة البلاغية للقراءة ، لزمخشري ، الرازي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، فله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

فإن علم التفســـــير والقراءات من أشرف العلوم لتعلقهما بأشرف كتاب سماوي أنزل من عند الله -عز وجل-، على أشرف الخلق - صلى الله عليه وسلم –قال -تعالى- **[كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ]** [ص: 29] ، وقال - سبحانه-: [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا] [النساء: 82] فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله -تعالى - وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه الأصلية وتعلم ذلك وتعليمه.

وإن من خصائص الأمة المحمدية ، اختيار الله – عز وجل- لخدمة كتابه العزيز أناسًا قائمين على الدوام في خدمة القرأن الكريم، قال - تعالى :- [وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ] [القصص: 68] ، ومن بين هؤلاء الذين اختارهم - سبحانه - لخدمة كتابه الكريم، الإمام الجليل نظام الدين النيسابوري –رحمه الله تعالى- ،والذي كان يتمتع بشخصية علمية موسوعية فيعد مفسرًا ومقرءًا ، فقد اشتهر النيسابوري بمصنفاته التفسيرية العديدة ، والتي من أهمها كتابه المشهور في التفسير، والمسمّى " غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، فهو من أعظم كتب التفاسير وأجلها؛ لما تضمنه من الفوائد ، والمعارف التفسيرية الكثيرة، وتناوله لجوانب مهمة ، من أهمها موضوع القراءات القرآنية، فلقد أفاد فيه وأجاد.

وتتجلى أهمية الموضوع فيما يلي:

1- يعد هذا الموضوع مهمّا؛ لأنه تناول كتابًا من أهم الكتب في المكتبة التفسيرية.
2- ميزة هذا التفسير في طريقة عرضه للقراءات القرآنية.
3- قدر الإمام النيسابوري وسعة علمه الممتدة في كل الفنون.

أسباب اختيار الموضوع:

قمت باختيار الموضوع لعدة أسباب، منها:

مساهمة في إحياء كتاب من أهم كتب التفاسير وسط كم العلوم الهائلة والتي قد تشغل بعض الباحثين عن كتب التراث.

إلقاء الضوء على جانب القراءات فيه.

الكشف عما يتمتع به هذا التفسير من جمع بين العقل والنقل، وما تضمنه من فوائد عظيمة مستمدة من كتابي الكشاف، ومفاتيح الغيب للإمامين الكبيرين الزمخشري والرازي.

المنهج المتبع في البحث: -

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والوصفي فقد قمت باستقراء منهج الإمام النيسابوري في طريقة عرضه للقراءات في تفسيره.

المبحث الأول - التعريف بالإمام النيسابوري:

اسمه ونسبه: هو الحسن بن محمد بن الحسين القُمي(1) النيسابوري (2) ، نظام الدين، ويقال له الأعرج(3).، وأما وصفه بنظام الدين فظاهر معناه: أي من الدقة وحسن التنظيم وقيامه بأمر الدين، والذي يؤيد هذا المعنى أنه دعى لنفسه في مقدمة كتابه هذا بأن ينظم الله شأنه. وأما وصفه بالأعرج فلم أقف في المصادر على سبب وصفه بهذا الوصف، فربما كانت به مشكلة حقيقية في قدمه، أو أنها صفة مجازية.

مولـــــده: لم أقف على تاريخ ميلاده بالضبط في حدود بحثي، ولكن بعض المراجع التي ترجمت له بأنه ولد في رأس القرن التاسع الهجري، فقد جاء ما نصه: أنه كان من علماء رأس المائة التاسعة على قرب من درجة السيد المولوي وابن حجر العسقلاني وقرنائهم(4) .

شـــــيوخه: تتلمذ الإمام نظام الدين النيسابوري على علماء نيسابور، لا سيما وكانت نيسابور مشتهرة بعلمائها وعلمهم في هذا الوقت، كما يعد الزمخشري والفخر الرازي من شيوخه الغير مباشرين وذلك من خلال كتابيهما الكشاف ومفاتيح الغيب، فقد استفاد كثيرًا منهما كما سيتبين ذلك خلال البحث.

تلاميذه: أما عن تلاميذه فلم أقف على مصدر ذكر تلاميذه، وإنما كل من أخذ من كتابه واستفاد منه يعد من قبيل تلاميذه مجازًا.

المبحث الثانـــــي - نشأته ومذهبه ومؤلفاته ووفاته:

نشأته: نشأ الإمام النيسابوري محبًا للعلوم بأنواعها، فكان محقّقًا في العلوم الشرعية والحكمية، كما أنه كان متبحرًا في الرياضيات وله تأليفات مشهورة ومعتبرة تدل على تبحر هفي المنقولات والمعقولات فكان ملمّا بالعلوم العقلية والنقلية، عارفًا باللغة العربية، متمكنًا من ناحية التعبير عارفًا بالتأويل والتفسير، واعيًا بالقراءات، وضم إلى

ذلك الشهرة العلمية الواسعة ، وكان على جانب كبير من الورع والتقوى، ومعرفة واسعة بالتصوف وعلوم الإشارات(5).

مذهبه: يعد الإمام النيسابوري من أهل السنة وإن كان قد ولد في بلد فيه التشيع، ويعد اتهامه بالتشيع قصور في التدقيق والبحث، كما فعل بعض أهل العلم، كصاحب كتاب معجم المفسرين، فقد قال عنه: "إنه من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره(6) ".

ولكن في الواقع وقياسًا بفكره في تفسيره يتضح خلاف ذلك، وأنه من علماء السنة وليس الشيعة.

وكلام صاحب معجم المفسرين مردودًا بما جاء في "الموسوعة الميسرة فيتراجم أئمة التفسير"، كالآتي: والذي اعتمده صاحب معجم المفسرين في جعل المترجم له من علماء

الشيعة(7) ، علي مصادر الشيعة أنفسهم لندرة ترجمته في مصادر السنة القديمة والحديثة بشكل عام، ولعدم تحري المحقق من اعتقاد وتوجه لعدد من ترجم لهم صاحب معجم المفسرين منهم النظام النيسابوري هذا، وسوف نورد التحقيق في التحقق من اتهامه بالتشيع من خلال نقلنا لمواضع من تفسيره "غرائب القرآن"، وأيضًا ما يتوجه القول باعتقاده الذي اعتمده في الأسماء والصفات وغيرها، فتوجه لدينا مما نقلناه منه: أنه سني، معتقده علي طريقة أهل الكلام من الأشعرية(8) والماتريدية(9) ، وهو أقرب للأشعرية، مع ما يورده من نصوص للمعتزلة في تفسيره هذا كرأي آخر دون التعليق عليه في بعض المواضع؛ لأن التفسير عبارة عن نقولات كما ذكر هو في مقدمته - من تفسيري الرازي والزمخشري، والأول أشعري المعتقد والثاني معتزلي كما هو معلوم ، مع السلوك الصوفي عنده، وأيضا كان النيسابوري يعتمد في أدلته الحديثية عند التفسير على الصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها من كتب الحديث المعتمدة لدي السنة، ولم نجد أدلة حديثية من كتب الشيعة المعتمدة عندهم في الحديث كالكافي وغيره.

مع أننا قد تتبعنا مواضع في تفسيره هذا التي يعتمدها أئمة الشيعة في تفاسيرهم على الولاية والغلو في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم نجده، قد أولها أو صرفها كما صرفت الشيعة تلك الآيات لمعتقدها وأصولها، بل فسرها بما يفسرها أهل السنة في تفاسيرهم علي اختلاف مشاربهم[10]

مؤلفاته: ألّف الإمام النيسابوري مؤلفات كثيرة مفيدة نافعة، ومصنَّفات فريدة واسعة، فمن ذلك:

- شرح على متن الشافية في فن الصرف للإمام ابن الحاجب، وهو معروف " بشرح النظام ".
- وشرحه على تذكرة الخواجة نصير المِلَّة والدين الطوسي فيعلم الهيأة، وهو المسمى بـ " توضيح التذكرة
- ورسائل في علم الحساب.
- وكتاب في أوقات القرآن على حذو ما كتبه السجاوندى المشهور، وله مجلد آخر في لب التأويل نظير تأويلات المولى عبد الرزاق القاشانى.
- و تفسيره لكتاب الله -تعالى- المعروف بـ "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"(11)

وفاته:

ما وقفت على أحد من العلماء ذكر تاريخ وفاته، فقد قال صاحب التفسير والمفسرون: أما تاريخ وفاته فلم نعثر عليه في الكتب التيبين أيدينا، وكل ما عثرنا عليه هو قول صاحب روضات الجنَّات: "إنه كان
من علماء رأس المائة التاسعة، على قرب من درجة السيد الشريف، والمولى جلال الدين الدواني، وابن حجر العسقلاني، وقرنائهم الكثيرين من علماء الجمهور، وتاريخ إنهاء مجلدات تفسيره المذكور، صادفت حدود ما بعد الثمانمائة والخمسين من الهجرة [12]

ولكن ذكر حاجي خليفة في سلم الوصول: أنه توفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة[13]

المبحث الثالث ـ سمات تفسير النيسابوري وعنايته بالقراءات:

اسم الكتاب: يسمى " غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ، ويوصف بالتفسير الكبير[14] ، ويختصر غالبًا بتفسير النيسابوري . وأما معنى اسم الكتاب فمعناه عظيم وقد وافق باطنه ظاهره. فمعنى كلمة "الغرائب" جمع غريب، والغريب: الغامض من الكَلَام[15] ، ومعناه أن النيسابوري تعرض بالفعل للكلمات الغريبة في كتاب الله - تعالى – ووضحها وفسرها كما سنوضح بالمثال فيما يأتي .

وأما كلمة "رغائب" فجمع رغيبة، والرغيبة: العطاء الكثير الَّذي يرغب في مثله والجمع رغائب، ومنه قول الشَّاعر:

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب[16].

والقرآن كله رغائب.، مثال من تبيينه للغريب في كتاب الله - تعالى-: عند تفسيره لقوله –تعالى - من سورة البقرة «...**وفُومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها**..» قال في المراد بالفوم: الثوم، ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها.

مدة تأليف الكتاب: قال النيسابوري في مقدمة تفسيره مبينًا وقت إتمامه لهذا العمل العظيم: " لقد وفّقت لإتمامه، في مدة خلافة على - رضي الله تعالى عنه -ولو لم يكن ما اتفق في أثنائه من الأسفار الشاسعة، لكان يمكن إتمامه في خلافة: أبي بكر - رضي الله تعالى عنه -، كما وقع لجار الله. فمقصود النيسابوري أنه أتممه في ثلاث سنوات وهي مدة خلافة سيدنا علي - رضي الله عنه- لأنه ضمن الكتاب أمورًا كثيرة في اللغة وغيرها، مع إمكانه أن يتممه في سنتين كما كانت مدة خلافة سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- لو أنه استغنى عن هذه الزيادات والتطويل في الكتاب.

الداعي إلى تأليف الكتاب:

لقد ذكر الإمام النيسابوري-رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابه السبب الذي حمله على تأليف هذا الكتاب، وهو ما نصّ عليه حاجي خليفة في كشف الظنون أيضًا، وغيره من المؤلفين.

فنجد النيسابوري يقول بعد تسمية الله –عز وجل: - «.. إلى الله الكريم أرغب في إبداع غرائب القرآن، وبفضله العميم أتأهب لإيداع رغائب الفرقان»..

وبعد هذا نجده يكمل في الكلام عن قدر القرآن الكريم ثم يذكر تكملة السبب الحامل له على تأليف كتابه، فيقول: ...«وفقني الله –تعالى- لتحريك القلم

في أكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله –تعالى- ومنه فيما بين أهل الزمان، وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الإنسان من العين والعين من الإنسان، وكان قد رزقني الله تعالى من إبان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان، وطالما طالبني بعض أجلة الإخوان وأعزة الأخدان ممن كنت مشارًا إليه عندهم بالبنان في البيان أن أجمع كتابًا في علم التفسير مشتملًا على المهمات مبنيًا على ما وقع إلينا من نقل الأثبات وأقوال الثقات، من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين- جعل الله تعالى سعيهم مشكورًا وعملهم مبرورًا- فاستعنت بالمعبود، وشرعت في المقصود، ...»[17]

وبهذا قد بين الإمام النيسابوري بهذه المقدمة العظيمة منهج العلماء في

عملهم وهو إخلاص النية لله -عز وجل- والتعرف على ما يمكن التعرف عليه من أسرار القرآن.. أولًا، والنظر إلى منفعة الناس وصلاحهم ثانيًا، وتلبية رغبات طالب العلم وتيسير العلم له سواء عن طريق التأليف والتدوين أو الشرح والتحليل، وليتنا

نقتدي به في عصرنا هذا فما أحوجنا إلى أن يلتف الطلاب حول أساتذتهم ويفتحوا باب الحوار والنقاش في العلم والمؤلفات...

طريقة النيسابوري في تفسير الآيات:

في هذه المسألة نجد الإمام النيسابوري يبين طريقته في سياقه للآيات وكيفية تفسيرها، وفي الحقيقة في أسلوبه هذا فوائد كثيرة وحسن تنظيم..، فيقول عن ذلك: " لقد التزمت إيراد لفظ القرآن الكريم أولًا مع ترجمته على وجه بديع، وطريق منيع مشتمل على إبراز المقدرات، واظهار المضمرات، وتأويل المتشابهات، فإن هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات، وقلما يفطن له الناشئ الواقف على متن اللغة العربية، فضلًا عن الدخيل القاصر في العلوم الأدبية، واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد، ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام، وكالشمس في افادة الخاص والعام، من غير تطويل يورث الملام، ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام، فخير الكلام ما قلّ ودلّ، وحسبك من الزاد ما بلغك المحلّ[18]

فهذه هي طريقة النيسابوري وأسلوبه الجزل الذي يدلّ على علو فكره وحسن فهمه، وإلمامه بالتفسير وغيره من العلوم التي تخدمه..، وهذا دأب كثير من العلماء المفسرين.

- **كما أنه كان يستند في تفسيره إلى الأحاديث الصحيحة أو التي تبلغ حد الصحيح:**

مثل استشهاده بهذه الأحاديث عند تفسير لسورة الفاتحة. عن أسماء بنت يزيد-رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال "اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَه وَاحِد لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وَفَاتِحَة آلِ عِمْرَانَ: ﴿ الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾**[19] . وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه-رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سمع رجلًا يقول: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ** " [20]. فهذه أمثلة على الأحاديث التي كان يستدل بها وتبلغ حد الصحيح.

المبحث الرابع ـ مظاهر عناية النيسابوري في تفسيره القراءات :

في هذا المبحث المهم والذي يعتبر لب البحث لذلك سيطول قليلًا، وسأقوم فيه بعرض مطوّل لمنهج الإمام النيسابوري في تفسيره، وإيراد أهم النقاط حول عنايته بالقراءات.

تعريفه للقراء وجواز اختلاف القراءات:

وقبل أن نتحدث عن عناية النيسابوري بالقراءات يجب أولاً أن نعرف بها.

فالقراءات لغـــة: قال أبو الحسن اللحياني يقال: قرأت القرآن وأنا أقرؤه قرءا وقراءة وقرآنا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قراء وقرأة وقارئين، وأقرأت غيري أقرئه إقراء، ومنه قيل: فلان المقرئ. ويقال: أقرأت من سفري، أي: انصرفت؛ وأقرأت من أهلي، أي: دنوت، وأقرأت حاجتك وأقرأ أمرك، قال بعضهم: دنا، وقال بعضهم: استأخر. ويقال: أعتم فلان قراه وأقراه، أي: حبسه. ويقال: قرأت، أي: صرت قارئا ناسكًا، وتقرأت تقرؤا بهذا المعنى. وقال بعضهم: تقرأت: تفقهت[21]

واصطلاحًا : عرفها ابن الجزري بأنها علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة(22)

وبعد تعريف القراءات نرجع إلى النيسابوري وعنايته بالقراءات، لقد ظهرت عناية النيسابوري أول ما ظهرت في مقدمة كتابه، حيث قدم -رحمه الله- لتفسيره بمقدمات مهمّة، وأولى هذه المقدمات كانت حول القراءات، فبعد أن تحدث عن فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة تحدث عن جواز اختلاف القراءات، وذكر القرّاء المشهورين المعتبرين، ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات.

مثل: ذكره للإمام نافع قال: نافع بن أبي نعيم المدني، قرأ على أبي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعي نعلى ابن عباس وأبي هريرة على أبيّ بن كعب -رضي الله عنهم-على النبي - صلى الله عليه وسلم -، وتوفي سنة تسع وستين ومائة، ورواته ثلاثة: إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري، روى عنه أبو الزعراء وأبو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي، وأبو جعفر أحمد بن فرج الضرير. ورش، اسمه عثمان بن سعيد المصري، روى عنه محمد بن عبد الرحيم الأصفهاني طريق أبي الحسن محمد بن أحمد المروزي وطريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم، وأبو عبد الله محمد بن إسحق البخاري طريق أبي الأسد أحمد بن إبراهيم الفقيه وطريق أبي بكر محمد بن مرثد التميمي. قالون: واسمه عيسى بن مينا النحوي، روى عنه أبو علي الحسن بن عباس الرازي طريق أبي بكر أحمد بن حماد المقري، وأبو إبراهيم مصعب بن إبراهيم الزهري طريق أبي بكر محمد بن عبد الله بن فليح، وأبو نشيط محمد بن هارون المروزي طريق أبي حسان محمد بن أحمد بن الأشعث الجيزي، وأبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني طريق الحسن بن العباس الرازي وطريق أبي عون القاضي(23)

وبعد أن انتهى من الحديث عن القراء السبع ورواتهم.

نجد النيسابوري يبدع في إظهار جانب آخر في الحديث عن القراءات، حيث تناول في المقدمة الثالثة القراءات السبع، وبين معنى التواتر فيها، وذكر ضوابط القراءة في الصلاة بالقراءات، وأنه لا تجوز الصلاة بالقراءة الشاذة[24]

طريقة عرضه للقراءات:

في هذا المطلب نتحدث عن طريقة النيسابوري في عرضه للقراءات وسنرى حسن العرض، وجزالة الأسلوب، حيث كان رحمه الله - تعالى – قبل أن يبدأ في تفسير السورة يذكر أولًا اسمها ويبين هل هي مكية أم مدنية، ويبين عدد آياتها وكلماتها. ثم يبدأ في سرد القراءات الواردة في السورة فهو لم يفرد القراءات بمبحث مستقل بل يدرجها ضمن سياق التفسير، فيذكر القراءة حيث يكون لها أثر في المعنى والإعراب والحكم الفقهي أو العقدي وهذا بخلاف من اقتصر على ذكر القراءة دون توجيه دلالي. وخلال حديثه عن القراءة نجده يحلل ويشرح القراءة حتى أنه يتطرق لأحكام التجويد خلال شرحه للقراءة، وكل ما يخدم المعنى.

مثال- القراءات في سورة الفاتحة:

قال النيسابوري: القراءات في قوله تعالى: «مَالِكْ»: بالألف سهل ويعقوب وعاصم وعلى وخلف، والباقون "ملك".

والقراءات في قوله تعالى : "الرحيم مّلك " مدغمًا: أبو عمرو، كذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين إذا كانا من جنس واحد مثل "قالَ لَهُمْ " في سورة البقرة ، أو مخرج واحد مثل " وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ " ، أو قريبي المخرج " مثل خَلْقُكُمْ " ، "ولَقَدْ جاءَكُمْ " ، سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل " أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ " ، ويسمى بالإدغام الصغير، أو متحركًا فأسكن للإدغام مثل قِيلَ لَهُمْ " في سورة البقرة و "لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ " سورة البقرة ويسمى بالإدغام الكبير إلا أن يكون مضاعفًا نحو " أُحِلَّ لَكُمْ " [البقرة ، و" مَسَّ سَقَرَ " سورة القمر أو منقوصا مثل " وَما كُنْتَ تَرْجُوا" ، " وكنت تُراباً " سورة النبأ ، ونعني بالمنقوص الأجوف المحذوف العين أو مفتوحًا قبله ساكن مثل "الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا"، و"الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها" في سورة النحل ، إلا في مواضع أربعة "كادَ يَزِيغُ " سورة التوبة ، و" قالَ رَبِّ " سورة المؤمنون في كل القرآن والصلاة طَرَفَيِ النَّهارِ" سورة هود ، و" بَعْدَ تَوْكِيدِها "سورة النحل ، أو يكون الإظهار أخف من الإدغام نحو " أَفَأَنْتَ تَهْدِي ‘‘سورة يونس "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ‘‘سورة الزخرف وعن يعقوب إدغام الجنسين في جميع القرآن إذا التقيا من كلمتين. وقوله تعالى «الصراط» بإشمام الراء هاهنا وفي جميع القرآن: حمزة.

وعن يعقوب بالسين في كل القرآن، وعن الكسائي بإشمام السين كل القرآن، والباقون بالصاد، وقوله تعالى «عليهم»: و"إليهم" و"لديهم " بضم الهاءات كل القرآن: حمزة وسهل ويعقوب. ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير غير ورش، بضم الميم عند ألف القطع فقط نحو "أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ " سورة يس.

فنلاحظ هنا أنه لم يكتف بذكر القراءة الواردة في الآية وعزوها لناقلها، وإنما يدعمها بذكر أمثلة مشابهة من سور أخرى، كما هو واضح في المثال السابق.

ميزة النيسابوري في تحرره من التعصب لقراءة واحدة :

كان - رحمه الله –بعيدا عن التعصب لقراءة دون أخرى، بل يذكر القراءات المعتمدة ويوجهها توجيها علميًا مناسبا، ولكن قد يرجح قراءة على أخرى من حيث الدلالة لا من حيث الرواية.

وهناك أمثلة عديدة، من ذلك سورة آل عمران آية مائة ستة وأربعون في كلمة "قاتل"، من قوله –تعالى -: « **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**». قال: "قتل": قرأها أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل وقرأ الباقون: قاتَل. فقراءة "قتل" ليكون قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلزامًا للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء إبليس ألا إن محمدًا قد قتل.

والتقدير ومعه ربيون كثير، ولو وصل كان الربيون مقتولين. ومن قرأ "قاتَلَ" فله ألا يقف.

ووجه تحرر النيسابوري من التعصب هنا: أنه مع اختلاف دلالة القراءتين جعل اختلاف القراءة سببًا لاتساع المعنى لا تضيقه، فيظهر من صنيع الإمام النيسابوري في غرائب القرآن أنه غير متعصب لقراءة بعينها، بل يتعامل مع القراءات باعتبارها وجوهًا معتبرة في الأداء، يفسر كلا منها جانبا من المعنى، ويشهد بعضها لبعض. فهو لا يصحح المعنى بقراءة واحدة، كما لا يبطل غيرها بل يجعل تعدد القراءات من دلائل إعجاز القرآن واتساع دلالته.

عنايته بالقراءات الغريبة والشاذة :

يعد من أبرز سمات تفسير النيسابوري عنايته بالقراءات الغريبة والشاذة والتنبيه على القراءات الغريبة سواء كانت من القراءات المتواترة قليلة التداول، أو من القراءات الشاذة المشهورة عند أهل العلم مع بيان وجه غرابتها وأثرها اللغوي أو المعنوي.

فيذكر النيسابوري القراءة الشاذة ويبين أن التشديد يدل على التكليف والسببية، والتخفيف يدل على المباشرة في الكفالة، والقراءتان تلتقيان في المعنى العام، مع اختلاف الدقة التعبيرية.

مثل قوله تعالى من سورة الواقعة "وطلح منضود " في القراءة المشهورة طلح بكسر قراءة شاذة مروية عن بعض السلف

ينقل النيسابوري القراءة الشاذة ويستفيد منها في بيان اختلاف العرب في تسمية الشجر توسيع سورة النعيم المذكور في الآية فجعل القراءة الشاذة مفسرة لا مؤسسة لحكم.

نموذج من عنايته بالقراءات، وتعقبه العلماء في الرد على بعض:

الشواهد الشعرية التي حكم عليها بالشذوذ، مما يدل على فطنته عند استخدام الشواهد الشعرية، ووعيه للمؤاخذات التي وردت على بعض الشواهد، فمن الأمثلة تعقبه لقول الزمخشري: وأما قراءة ابن عامر: ﴿ **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِير مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عليهم دينهم**﴾ [سورة الأنعام آية : 637] برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتلإلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سَمِجًا مردودًا ، فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته»

ومع ما ذكره الزمخشري وقفتان[25]:

الأولى: قراءة ابن عامر لهذه الآية فيها إشكال معروف ومشهور بين النحويين، بسبب خروجها عن المشهور في اللغة خروجًا جعل كثيرًا من النحويين والمفسرين والمصنفين في التوجيه يطعنون في ثبوتها أو يكادون.

ومحل الإشكال في القراءة هو الفصل بين المتضايفين بالمفعول به في قوله: ﴿**قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ**﴾، ووجهه أن المقرر في قواعد العربية منع الفصلين المتضايفين بالظرف والجار والمجرور في الاختيار فضلًا عن المقولية، فكيف يجوز وقوعه القرآن الكريم.

ورد النيسابوري على من قال بخطأ هذه القراءة قائلًا: «والحق عندي في هذا المقام أن القرآن حجة على غيره، وليس غيره حجة عليه، والقراءات السبع كلها متواترة، فكيف يمكن تخطئة بعضها؟ فإذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وألا يلتفت إلى أنه هل ورد له نظير في أشعار العرب وتراكيبهم أم لا؟ وان ورد فكثير أم لا؟

عنايته بالتوجيه اللغوي والنحوي للقراءات :

يمتاز الامام النيسابوري بأنه كان يهتم بتوجيه القراءة من جهة العربية نحوا وصرف، ويربط القراءة بأصول اللغة ولهجات العرب، ويذكر العلل النحوية التي بنيت عليها القراءة وهو في ذلك قريب من منهج الزمخشري، حيث استفاد الامام النيسابوري من الزمخشري في الكشاف من الفراء والزجاج وأبي على الفارسي وكتب القراءات والتوجيه اللغوي، لكنه يسوغ مادته بأسلوبه مع زيادات وتحقيقات.

مثل: قوله تعالى **" إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ "** [الأنفال: آية 9] فقال: كلمة " مُرْدِفِينَ " بفتح الدال: أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل. الباقون: بالكسر. مُرْدِفِينَ بكسر الدال وفتحها من أردفته إياه إذا أتبعته متعديا إلى مفعولين، أو من ردفته إذا أتبعته أي جئت بعده متعديا إلى مفعول واحد. ومعنى الأوّل جاعلين بعضهم أو مجعولين بعضهم تابعا لبعض أو أنفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم أو لملائكة أخرى.

ومعنى الثاني تابعين بعضهم للبعض أو للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم أو لغيرهم من الملائكة. كما أنه كان يعمد إلى الموازنة بين القراءات المختلفة فيبرز الفروق الدقيقة في المعنى.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، في نهاية هذا البحث،

أتوجه بالشكر لله -سبحانه وتعالى-، وأسأله أن يعلمني من علمه الواسع آمين.

ثم أذكر أهم ما وقفت عليه من نتائج

إن كتب التراث هي سلسلة متواصلة ما إن تنتهي حلقة إلى وتأتي تاليتها لتكمل عملها من اختصار أو إضافة أو تهذيب أو شرح أو تعليق، وكان من بين هذه الكتب تفسير النيسابوري، فقد كان حلقة في سلسلة عظيمة، حيث استفاد واختصر وعلق على كتابي الإمامين العظيمين الزمخشري، والرازي.

- كتاب الإمام النيسابوري جاء ببضاعة مزجاة.
- إن المفسر يجب أن يكن على دراية بعلوم العربية والقراءات معًا.

من هنا أوصي الباحثين والطلاب بأن يطرقوا أبواب هذه الكتب ففيها الكنوز الثمينة.

ورحم الله الإمام النيسابوري على ما قدمه للأمة الإسلامية، ولكتاب الله - عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش :

1- القُمِّي: بضم القاف وتشديد الميم المكسورة، هذه النسبة إلى بلدة قم، وهي بلدة بين أصبهان وساوة كبيرة، وبنيت هذه المدينة زمن الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين. [الأنساب، للسمعاني الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 6380 هـ - 6610 م، ص62].

2 ـ النيسابوريّ: بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفتح السين المهملة وبعد الألف باء منقوطة بواحدة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى نيسابور، وهي أحسن مدينة واجمعها للخيرات بخراسان، وهي في إيران حاليًا. [الأنساب للسمعاني ص 63].

3 - الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ، ج2/ ص216.

4 ـ روضات الجنات / تأليف: الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران، ج3/ ص620. [ملحوظة هذا الكتاب يعد من كتب الشيعة، ولكنه ترجم للنيسابوري باعتبار أن النيسابوري من بلد "قم"، وقد عول عليه كثير من الباحثين عند ترجمتهم للنيسابوري]

5 - مناهج المفسرين، تأليف: منيع بن عبد الحليم محمود (ت 1430هـ)، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، عام النشر: 1421 هـ - 2000 م، ص235م.

6 - معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، تأليف: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، ج1، ص145.

7 ـ الشيعة الإمامية: هم القائلون بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نص على إمامة علي -رضى الله عنه- نصاً ظاهراً، لا بطريق التعريض بالوصف كما يقول الزيدية، كما أنهم يحصرون الإمامة بعد علي في ولده من فاطمة -رضى الله عنها-، وأصحاب هذا المذهب قد بالغوا في تشيعهم، وتعدوا حدود العقل والشرع، فكفَّروا الكثير من الصحابة، وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، ج1/ ص51].

8 - الأشاعرة: هم فرقة كلامية من أهل السنة والجماعة، نسبة إلى العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر ويصل نسبه إلى صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري- رضي الله عنه- صاحب الكتب، والتصانيف فِي الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بَغْدَاد إِلَى أن توفي بها، مات فِي سنة أربع وعشرين وثلاث مائة. [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 6400هـ - 0220 م، ج63/12ص].

9 ـ الماتريدية: هم فرقة كلامية من أهل السنة والجماعة، نسبة إلى محمد بن محمد بن محمود أبو

منصور الماتريدي من كبار العلماء تخرج بأبي نصر العياضي كان يقال له إمام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد أهل الأدلة للكعبي وكتاب بيان أوهام المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب، وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل وقبره بسمرقند. [الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي المتوفى: 772هـ، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي ص636].

10 ـ الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائقهم»، تأليف: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

11 ـ معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

12 ـ التفسير والمفسرون، تأليف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت 1398هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. ج6/ص600

13 ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف ب حاجي خليفة المتوفى 1067 هـ، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط [ت 1438 هـ]، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: 2010 م، ج2، ص36.

14 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج2/ ص1196).

15 ـ المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، ج5/ص507

16 ـ جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت
الطبعة: الأولى، 1987م، ج1/ص320

17 ـ مقدمة "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، للنيسابوري المتوفى: 822هـ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 6461 هـ.

18 ـ مقدمة تفسير النيسابوري (6/1).

19 ـ رواه الترمذي في سننه، باب "الدعوات عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: هذا حديث حسن صحيح، حديث رقم 3478، ج5/ص464.سنن الترمذي، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1996 م.

20 ـ رواه أبو داود في سننه، باب الدعاء، حديث رقم ج2/ ص611، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ت 275 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [ت 1438 هـ]، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م

21 ـ تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، ج9/ص211

22 ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م، ص9

23 ـ مقدمة تفسير النيسابوري (ج1/ ص11).
24 ـ مقدمة تفسير النيسابوري (ج1/ ص23).
25 ـ الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، تأليف/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 6436 هـ، ص642.